المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية: ISSN : 2716-7984
المجلد 01 ، العــدد: 02 ، ديسمبر 2019

ظاهرة التقديم والتأخير في شعر محمّد بلقاسم خمّار

The Phenomenon of Precedence and Non-precedence inMohammad Belkassim Khammar's Poetry

طد.بن زيادي عمر[1]

إشراف : أ. د مطهري صفية

جامعة وهران 1–أحمد بن بلة

ملخص: يتناول المقال بالتحليل ظاهرة التقديم والتأخير في مجموعة من قصائد الشاعر الجزائري محمد بلقاسم خمّار، بحيث عالجت الظاهرة في مبحثين اثنين هما: ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية،وظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وختمت العمل بمجموعة من النتائج استخلصتها من وراء الظاهرة.فمعظم الدارسين يجمعون على أنّ اللغة العربية تتميّز بما لا تتميز به غيرها من اللغات الأخرى من مرونة في ترك الحرية للمتكلم فيقدم من حديثه ما يريد ، ويتم ذلك من خلال قواعد واضحة تضمن سلامة المعنى ، وعلى الرغم من ذلك فيوجد حالات يمتنع فيها التقديم ، وتناول علماء النحو والبلاغة مصطلح التقديم والتأخير بالدراسة المستفيضة لأهمية اللغوية والدلالية ، وأطلق عليه مصطلح الرتبة.

كلمات مفتاحية: اللغة – الظواهر – التقديم – التأخير – الجملة–التركيب

Abstract: The article deals with the phenomenon of precedence and non-precedence in a collection of poems by the Algerian poet Mohamed BelkacemKhammar, at which two sections were devoted: the precedence and non-precedence in the nominal sentenceandthe precedence and non-precedence in the verbal sentence, and was concluded with a set of results derived from the phenomenon.Most scholars agree that the Arabic language is characterized by what the other languages are not from the flexibility to leave the freedom for the speaker to precedewhatever he wants, through apparent rules that guarantee

[1]– اسم ولقب المرسل:طد.بن زيادي عمر، جامعة وهران1 احمد بن بلة،
البريدالالكتروني: benzinsp20@gmail.com

the integrity of meaning, and this despite the cases where precedence abstains. Grammarians have tackled the terms precedence and non-precedence extensivelyand this due to its linguistic and semantic importance, being termed *rank*.
Keywords: language - phenomena - precedence - non-precedence - sentence - structure.

1.مقدّمة:

تتميّز اللغة العربية بما لا تتميز به غيرها من اللغات الأخرى من مرونة في ترك الحرية للمتكلم فيقدم من حديثه ما يريد ، ويتم ذلك من خلال قواعد واضحة تضمن سلامة المعنى، وعلى الرغم من ذلك فيوجد حالات يمتنع فيها التقديم ، وتناول علماء النحو والبلاغة مصطلح التقديم والتأخير بالدراسة المستفيضة لأهمية اللغوية والدلالية، وأطلق عليه مصطلح الرتبة .

فأسلوب التقديم والتأخير من خصائص اللغة العربية ، ومنه يظهر أهمية الإعراب الذي يحافظ على حرية التعبير، ولولاه لأصبحت اللغة جامدة، ولا تسمح إلا بنظام ثابت لا يتغير، ولا يحيد عنه المتكلم .

2.التقديم و التأخير في اللغة العربية:

التقديم والتأخير لا يرتبط بالإعراب فقط ، بل المعنى أيضا فمثلاً الفرق بين جملة (محمد جاء) وجملة (جاء محمد ، فالأولى كان التنبيه أن الذي جاء هو محمد وليس غيره، والثانية إخبار عن مجيئه إخبارًا لا يخالطه شيء غيره[1].

وكان النحاة العرب ينظرن إلى المواقع الإعرابية على أنها رتب، حيث يكون بعض الكلام في رتبته سابقًا الآخر، ففرقوا بين نوعين من الرتب :

1-الرتب المحفوظة : وهي الرتب الثوابت التي لا يمكن انتهاكها في الكلام كالنعت الذي لا يسبق منعوته .

[1]- ينظر: فضل الله النور علي، ظاهرة التقديم و التأخير في اللغة العربية، مجلة العلوم و الفنون، ص:180،نوفمبر 2012

2- الرتب غير محفوظة : وهي الرتب غير متغيرة التي قد تأتي في مكان غير مكانها الأصلي، وهي التي تبرز مساحة الحرية في الفكر النحوي ، فيستطيع المبدعون من خلالها التحليق في آفاق الجمال والإبداع [1].

وكان كلام أكثر القدماء والمحدثين في باب (التقديم والتأخير) إلى بيان دور المُقَدَمْ – دو ن المؤخر– في أداء المعنى ، (للعناية والاهتمام ، أو لعظمه والاهتمام به أو لإرادة معنى لاختصاص أو لأن الخاطر ملتفت إليه والهمة معقودة به) [2].

وأرى انه ليس كل تقديم من أجل صرف الانتباه إلى المقدم دون المؤخر؛ فقد يقدم المقدم ويؤخر المؤخر لا لأهمية المقدم والعناية به فحسب، وإنما توطئة لذكر المؤخر الذي هو أهم، كأن ينتبه له المخ اطب الغافل، أو أن يؤخر المؤخر لرتبه على المقدّم ترتب الجزاء على الشرط .

كذلك فقد يؤخر المبتدأ – وجوبا – ليتسنى التعبير بالنكرة لإفادة معنى التعظيم أو الإحاطة والشمول، كذلك يتأخر العنصر النحوي إذا قصد بالاختصاص والحصر ب (ما و إلاّ ، أو ، إنما)، أو نحو ذلك من معانٍ[3] .

لقد نوَّه إلى دلالات التقديم وأعراضه كثير من نحاتنا وبلاغي وأن القدماء والمحدثون وكثير من المفسرين، وقد نصوا على أثر تقديم المقدم في الدلالة، على اعتبار أن كل تقديم يقتضي تأخيرًا وأن غرض التقديم لا يعدوأن يكون هو نفسه غرض التأخير، وربما خفي معنى أحدهما ليصبح المعنى منعقدا على العنصر الآخر، لكن ذلك لا يكون في كل سياق[4] .

[1]- ينظر: سامي عوض، مفهوم الرتبة النحوية، مجلة جامعة تشرين، ص:11،العدد 17، فيفري 2002

[2]-ينظر: محروس السيد بريك، من دلالات التأخير في العربية، مجلة جامعة أم القرى، ص:23، العدد الخامس، يناير 2011

[3]- السابق نفسه، ص:23

[4]- السابق نفسه، ص:23

وقد يلجأ الشاعر لاستخدام عارض التقديم والتأخير لغاية دلالية تتمحور حول[1]:

1- العناية بالمتقدم والاهتمام به .

2- تخصيص المسند بالمسند إليه .

3- التشويق إلى ذكر المسند.

4- تمكن الخبر في السامع.

ونلاحظ دلالة التقديم والتأخير في المقارنة بين الآيتين ، في قوله تعالى :(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)[2] ، وفي قوله تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّيَ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)[3] .

ففي الآية الأولى يعني أنه جاء من أقصى المدينة أي من أبعد مكان فيها ،بينما في الآية الثانية ليس بالضرورة أن مجيئه من أبعد مكان وإنما تحتمل هذا المعنى وغيره ، كما تقول جاءني من القرية رجال تعني أن المجيء من القرية ، جاءني رجال من القرية أي قرويون .

3.التقديم والتأخير لغة واصطلاحًا :

يدور المعنى اللغوي للتقديم حول تقديم شيء على الآخر " وتقدم : كقدّم .وقدّم واستقدم : تقدّم [4]، وأقْدَمَ واسْتَقْدَمَ ، والاسم : القُدمةُ ، بالضم ، ومُقَدِمَةُ الجَيْشْ"[5] ، و" الأُخُرُ ، بضُمتين : ضد القُدُم ، وتأخَرَ وأخَّرَ تأخيرًا : اسْتَأخَرَ ، وأخَّرْتُهُ "[6] ، فالمصطلحان متضادان فيما يعطيانه من معنى .

[1]- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ت:عبد الحميد هنداوي، ص:321،دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1

[2]- سورة يس،الآية:20

[3]-سورة القصص، الآية:20

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ق د م)

[5]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(ق د م)

[6]- السابق نفسه، مادة (أ خ ر)

أما الاصطلاح فقد تناول النحاة ظاهرة التقديم والتأخير من ناحية المستحسن تقديمه أو المستقبح ، كذلك الواجب في التقديم والتأخير ، أو الجواز في التقديم والتأخير ، وحسن التقديم في مواضع بشرط أمن اللبس في الفهم ، فقال سيبويه : " وزعم الخليل رحمه الله أنه يستقبح أن يقول قائم زيد ، وذاك إذا لم تجعل قائمًا مبنيًا على المبتدإ ، كما تؤخّر وتقدّم فتقول : ضرب زيدًا عمرٌو ، وعمرٌو على ضَرَبَ مرتفعٌ . وكان الحدُّ أن يكوم مقدَّما ويكون زيدٌ مؤخَّرا . وكذلك هذا الحدّ فيه أن يكون الابتداء (فيه) مقدِّما . وهذا عربيّ جيد[1] .

ونوَّه ابن جني لانتشار الظاهرة في اللغة العربية عامة والقرآن الكريم خاصة ، " والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر "[2].

كذلك حدّد مواضع جواز التقديم " ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ؛ نحو قائم أخوك ، والدار صاحبك . وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها ، وعليها أنفسها . وكذلك خبر ليس ؛ نحو زيدا لبيس أخوك "[3].وللخبر عند ابن هشام، ثلاث حالات، فقد يتأخّر وجوبا وهو الأصل في أربع حالات، وقد يتقدم وجوبا في أربعة مواضع أيضا، وأما الحالة الثالثة فهي جواز التقديم والتأخير، وذلك فيما فُقِدَ فيه موجبهما[4].

وقد ذهب جمهور النحاة إلى وجوب حفظ الرتبة لكل من المبتدأ والخبر في مواضع معيّنة ، و باستقراء هذه المواضع في شعر محمد بلقاسم خمّار نرى أن المبتدأ وجب تقديمه على الخبر إذا جاء هذا الأخير فعلاً ، نحو : زيدٌ قام ، وقد ورد ذلك في مواضيع كثيرة ، يمثل ذلك قول الشاعر في قصيدة الجريمة :

و المعهد المعمور يزفر صاخبا من كثرة الرّواد أضحى ناقما[5]
صفر الوجه، بطونهم مطوية نبذوا الطعام فلم يروموا ناعما

[1]- سيبويه، الكتاب، 127/2
[2]- ابن جني، الخصائص ،297/1
[3]- السابق نفسه، 382/2
[4]- ابن هشام ، أوضح المسالك، 206/1-216
[5]- محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، المجلد الأوّل، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، الجزائر، ص:46

وأيضا إذا كان الخبر محصورًا ب (إنما ، وإلا) ، ، نحو قوله تعالى :
(وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلْ)[1] ، وقد ورد ذلك في شعر محمد بلقاسم خمّار في عدة مواضيع ، يمثل ذلك قول الشاعر في قصيدة: الجريمة:
– أغريب أنت في هذه الحياة

أم أصابتك نبال قاسيات

إنّما الدنيا سهام قاتلات[2]

و مصاب نازل يتلو مصاب

كالعقاب...

ومنها إذا كان المبتدأ لازم الصدارة في الجملة، كما في أسماء الاستفهام والشرط، نحو: أيهم أفضل؟، ومن يقم أقم ، ومن ذلك أيضا إذا كان الخبر مقترنًا بالباء الزائدة : نحو : ما زيد بقائم ، و إذا كان المبتدأ مقترنا بالفاء ، نحو : الذي يأتيني فله درهم ، وإذا كان المبتدأ دعاء ، نحو : سلامٌ عليك ، وإذا كان الخبر طلبا، نحو: زيدٌ اضربه ، وإذا كان المبتدأ واقع بعد (أما).

فالحالة التي تقتضي تأخير المسند هي : " إذا كان المستد إليه أهم .... وأما الحالة المقتضيةلتقديمه : فهي أن يكون متضمنا للاستفهام ، كنحو : كيف زيد ؟ .....

والقانون الثاني موضع تقريره ؛ أو أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه كقوله عز وعلا : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[3] "[4] .

وذهب جمهور النحاة إلى الوجوب مخالفة هذا الأصل بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ في مواضع[5] ، كأن يقصد حصر المبتدأ : المحصور يكون ثانيًا ، فإذا أردنا حصر المبتدأ فإن الخبر يجب أن يتقدم عليه ؛ لئلا يلتبس المحصور بالمحصور عليه، نحو : ما بنا إلا الإيمان.أو

[1] – سورة آل عمران، الآية:144
[2] – السابق نفسه، ص:52
[3] – سورة الكافرون، الآية:6
[4] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص:321
[5] – ينظر: السيوطي، همع الهوامع، 331/1

أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على الخبر أو جزء منه : وعندما يجب أن يتقدم الخبر حتى لا يعود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة ، وبتقدم الخبر يكون الضمير المشتمل عليه المبتدأ عائدًا على متأخر في الرتبة متقدم في اللفظ، وهذا جائز ، نحو : في الدار صاحبها .

أو أن يكون الخبر دلاً على ما يفهم بالتقديم ، ولا يعطي دلالته المقصودة بالتأخير: ويكثر ذلك في الأمثلة السائدة والحِكم المنتشرة، نحو: في كل واد بنو سعد، وفيه شبه الجملة (في كل) في محل رفع خبر مقدم، وفيه (بنو) مبتدأ مؤخر، وورد ذلك في مواضع كثيرة ، ويمثل ذلك قول الشاعر في قصيدة أحلام الغربة:

وحدي .. أفتش ما أفتش
وأرى الوجوه و لا تراني
ماذا ترى كانت تقول
لو أنّها كانت تراني
هذا شريد...أو غريب
وبه أسى
وعليه مسحة ساخط[1]
يمشي، و يسأل بالإشارة
فمن التي ترضى بأن تضحي له
في البعد جارة...

ومن ذلك أيضا أن يقرن المبتدأ بفاء الجزاء بعد (أما) : وحينها يجب الفصل بين (أما) وبين فاء الجزاء ، فيكون الفاصل الخبر ، لتأخير المبتدأ بعد فاء الجزاء ، نحو : أما عن الجيش فرجال ، حيث شبه الجملة (في الجيش) في محل رفع خبر مقدم، و(رجال) مبتدأ مؤخر .

[1]- السابق نفس، ص:173

أو أن يوقع تأخير الخبر في لبس معنوي : وعندها يفهم عدم إتمام المعنى ، نحو: في القاعة طلاب ، فلو تأخر الخبر (في القاعة) لتوهم نقصان بالجملة ، ويقد يفهم أن شبه الجملة ، ويقد يفهم أن شبه الجملة نعت للمبتدأ ، وقد وورد ذلك في مواضيع كثيرة ، ويمثل ذلك قول الشاعر في قصيدة اللغز:

يا فتى العرب و يا نسل الكرام
إنّ في عينيك ألوان الغرام[1]
كيف أدعوك و لا تبدي كلام
هل نذرت الصوم عن ردّ الجواب
والخطاب...؟

أو أن يكون الخبر واجب الصدارة في الجملة : وذلك مثل اسم الاستفهام الذي يكون في محل رفع خبر، نحو : أين أخوك ؟ ، حيث (أين) اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم وجوبًا ، وشبه الجملة في محل رفع مبتدأ مؤخر.
أو أن يكون الخبر اسم إشارة ظرفًا : وذلك نحو : ثمَّ صديقي ، أي هناك صديقي، حيث (ثمَّ) اسم إشارة ظرفي، أو ظرف مكان إشاري مبني على الفتح في محل نصب، وشبه الجملة (ثمَّ) في محل رفع خبر مقدم، ومنه : هنا الجزائر، أو أن يكون المبتدأ مصدرًا مؤولاً من (انَّ) المفتوحة الهمزة المشددة النون ومعموليها: وحينها يتقدم الخبر على المبتدأ حتى لا يلتبس ب (إنَّ) المكسورةِ الهمزة التي لها الصدارة والابتداء بالجملة، نحو (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)[2] حيث (آية) خبر مقدم ، والمصدر المؤول من (أنَّ) ومعموليها (أنَّا حملنا) في محمل رفع مبتدأ مؤخر ،كذلك إذا كان الخبر (كم) الخبرية، أو مضافًا إليها، نحو: كم درهمٍ مالك ، وصاحب كم غلام أنت ؟ .

[1]- السابق نفسه، ص:53
[2]- سورة يس، الآية:41

وفي غير مواضع وجوب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، ومواضع تقديم الخبر وتأخير المبتدأ السابقة، يجوز تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، وتقتصر الدراسة علي التقديم والتأخير الجائز فقط، لأن التقديم والتأخير الجائز هو ما يكون فيه نوع من الاختيار من قبل الشاعر، إلى التقديم والتأخير، لأيٍّ من المبتدأ أو الخبر، جوازاً ، تحقيقاً لغاية دلالية .

مواضع امتناع التقديم عند ابن السراج [1]:

أ-الصلة على الموصول .

ب-المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى لإ ما جاء منه على شريطة التفسير .

ج-الصفة وما اتصف بها على الموصوف وجميع توابع الأسماء.

د-المضاف إليه وما اتصل به على المضاف.

هـ-ما عمل فيه حرف أو اتصل به لا يقدم على الحروف وما شبهه من هذه الحروف مما اتصل بالفعل فنصب ورفع ، فلا يقدم مرفوعها على منصوبها .

و-الفاعل لا يقدم على الفعل.

ز-الأفعال التي لا تتصرف لا يقدم عليها ما بعدها .

ح-الصفات المشبه بأسماء الفاعلين ، والصفات التي لا تشبه أسماء الفاعلين لا يقدم عليها ما عملت فيه.

ط-الحروف التي لها صدر الكلام لا يقدم ما بعدها على ما قبلها.

ي-ما عمل فيه معنى الفعل ففلا يقدم المنصوب عليه .

ك-ولا يقدم التمييز على (إلا) على ناصبه .

ل-حروف الاستثناء لا تعمل فيما قبلها .

م-العامل لا يقدم منصوبه على مرفوعه ، ولا يفرق بين العامل والمعمول فيه بشيء لم يعمل فيه العامل إلاّ الاعتراضات .

[1]- ينظر: ابن السرّاج، الأصول في النحو،222/2

4.التقديم و التأخير في شعر محمد بلقاسم خمّار:

1.4. التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :وقد وردت ظاهرة التقديم والتأخير الجائزة في الجملة الاسمية في شعر محمد بلقاسم خمّر في مواضع كثيرة، أمكن تصنيفها في الأنماط الآتية :

1.1.4.النمط الأول : { خبر مقدم (شبه جملة) + المبتدأ معرفة }

أشار سيبويه إلى ظاهرة تقديم الخبر على المبتدإ في باب بعنوان :" هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده "[1] ؛ لأنه مستقر لما بعده ، وذلك كقولك :فيها عبد الله، وثمَّ زيدٌ، وهَهُنَا عمرو، وذلك يدل على جواز تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدإ المعرفة، وهي الحالة الثالثة من حالات تقديم الخبر وتأخير عند ابن هاشم [2].ويظهر هذا النمط جليا في أشعار خمّار كما في قصيدته نداء الاتحاد:

أنادي البحر و الأمواج غضبي تصارعها العواصف كالأعادي
ولكن هل يروق له ندائي و في أمواجه الصوت ينادي[3]

نلاحظ في الجملة الاسمية المسطر تحتها، الخبر قد جاء شبه جملة جار ومجرور(في أمواجه)، و المبتدأ (الصوت)لفظ مفرد، وأشار النحاة إلى هذه المسألة، واتفقوا فيها، مع ما ذهب إليه سيبويه[4] ، بينما رفض الكوفيون تقديم المبتدإ على الخبر، لما فيه من تقديم ضمير الاسم على ظاهرة، في قولك : قائم زيد ، ولكنه رأي ضعيف لكثير مخالفته في كلام العرب، ولأن الخبر متأخر في المعنى، والتقدير ولو تقدم لفظاً[5].

فللترتيب الطبيعي للجملة الاسمية هو أن تأتي المبتدأ أولا ثم الخبر، ويكون تقديم المبتدأ لتنبيه المخاطب الغافل إلى أهمية الخبر المتأخر ؛ فتأخير الخبر وتقديم المبتدأ تظاهرا على

[1]- سيبويه، الكتاب،128/2
[2]- ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك،206/1-216
[3] - محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:415
[4]- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل،234/1
[5]- ينظر: أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1، ص61

تشكيل تلك الدلالة ، أو قد يكون تقديم المبتدأ وتأخير الخبر لإفادة ترتب الخبر على ترتب الجزاء على الشرط، أو قد يكون ذلك لدلالة على تأكيد وجود الخبر وعدم دخوله في حيز الشك[1].

كما نرى ذلك في قصيدة تحية فنان:

يا ملاك النشيد رفقا بروحي فحنانيك قد ملأت وجودي
فيك من نغمة الحنان الرنين كالأماني أو كابتهاج الوليد[2]

حيث تقدم الخبر الشبه الجملة الجار والمجرور(فيك)، وتأخّر المبتدأ(الرنين)، الذي جاء معرفة، فالقاعدة التي تحكم التقديم تستند إلى عنصر غير لغوي، وهو علم السامع[3]، وهي الحالة التي ينتج عنها كثير من الفوائد والمحاسن في الدلالة، مما لا نجده في غيرها، فالتقديم والتأخير:" باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطفك لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب فتجد أن راقك ولطف عندك، أن قدِّم فيه شيء، وحوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان "[4] .

وأرجع بعضهم سبب التقديم والتأخير للأهمية " تقديم المسند إليه : وأما تقديمة، فلكون ذكره أهم، أما لأنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، وأما ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقًا إليه "[5]، ولابد لتقديم لفظٍ على الأخر، من داعٍ يوجبه

[1]- ينظر: محروس السيد بوريك، من دلالات التأخير في العربية،ص28-29
[2] - محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:189
[3]- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص245
[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106
[5]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 232/3

الإنكار والتعجب، أو النص على العموم السَّلب، أو تخصيص [1]، فكما يقَّدم في الحياة ذو الأهمية ، فقد جرى هذا القانون على الأساليب التعبيرية[2] .

ومن أمثلة ذلك في شعر خمّار ما جاء في قصيدة الجريمة:

عجبا للبس كالطلامس غامض حتّى ملئت تساؤلا و تشاؤما[3]

أهو الشتاء و هذه و يلاته و اليوم كر على البلاد مهاجما

2.1.4– النمط الثاني: {خبر مقدّم (شبه جملة) + المبتدأ نكرة مخصصة }

مواضع كثير في قصائد الشاعر تقدّم فيها الخبر عن المبتدأ، ومنها قصيدته: أحلام الغربة

أو أنّني بالخوف

كالمسجون...هارب

قد كان في العتمات غائب[4]

ورأى الضياء فما تردّد

وجرى ليلحق بالمواكب

وإذا به فرد غريب...

الأصل في الخبر أن يتأخر عن المبتدأ لأنه الجزء الذي يتمم به الفائدة، ولكن قد يتقدم الخبر على المبتدأ ، إذا خيف اللبس بينه وبين النعت ، فيتقدمه على أنه الخبر، وفي الأسطر السابقة قدّم الشاعر الخبر (المسند) شبه الجملة المكون من حرف الجر (في) و الاسم (العتمات) ، –قدمه– على المبتدأ (المسند إليه) النكرة (غائب)

كذلك فإن الأصل المبتدأ أن يكون معرفة ، سواء كان ضميرًا أو اسم إشارة أو اسمًا موصولاً أو علم .....إلخ ، وأصل الخبر أن يكون نكرة ، ويضاف إلى المعرفة النكرة

[1]– ينظر: حفني ناصف و آخرون، دروس البلاغة، ص67–69

[2]– ينظر: مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل و تجديد، ص32

[3] – محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:46

[4]– محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، المجلد الأوّل، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، الجزائر، ص:171

الموصوفة لأنها قريبة من المعرفة بتخصيصها ، " وحق المبتدأ أن يكون معرفة ، أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة خاصة "[1].

وفي الشاهد السابق بدأ الشاعر البيت بنكرة لحصول الفائدة ، وقدم عليها الخبر لأمن اللبس بينه وبين النعت، ومن ذلك تخصيصها بالنعت، ففي قوله (في العتمات غائب) نلحظ أن الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ (غائب)، والخبر (في العتمات) وقد تقدم الخبر وتأخر المبتدأ النكرة الذي خصص بالجملة الاسمية).

ويأتي التقديم على قسمين: أحدهما تقديم يأتي على أصله في النحو، وثانيهما تقديم يأتي لمقامات تقتضيه، وإن كان موافقًا لأصله النحوي، وينقسم الأخير إلى قسمين: أحدهما يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو آخر لتغير المعنى، فالأول تقديم ذِكريٌّ، والثاني تقديم معنويٌّ .

وفي قصيدة :نفسي، نلاحظ هذا النمط من الترتيب غير الطبيعي:

حولي الخلائق ترقى
ما بين بشر. و أنس
وبالخلائق أشقى
وفي الجوانح بؤسي[2]
كالنار يحرق نفسي...؟

3.1.4– النمط الثالث: { فعل ناسخ + خبر مقدم شبه جملة + المبتدأ نكرة}

وقد ورد في قصائد الشاعر كثير من هذا اللون، مثل قوله في قصيدة: من ذكريات الطفولة الأولى

ملأ الرعب فؤادي... و انبرى
خفقان القلب منّي عارما
أرجعي "زهراء" قد أبصرنا
إنّ في عينيه نارا و دما...[3]

[1] – ابن السراج، الأصول في النحو، 59/1
[2] – محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:78
[3] – محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:184

يرى النحاة جواز تقديم أخبار كان وأخواتها على اسمها، بل منهم من أجاز تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها، وعليها نفسها، وكذلك خبر ليس، نحو : زيدًا ليس أخوك، ويمتنع تقديم خبر (ما) على اسمها عند البصريين والفراء، وأجازه بقية الكوفيين[1] .

النظم هو ترتيب الألفاظ في النطق، تبعًا لترتيب المعاني في النفس، ومن هنا فقد يكون الكلام واحدًا في مادته وحروفه، ولكن قد تختلف صيغته، وترتيب كلماته من المتكلم لآخر، بل عند المتكلم الواحد، إذا اختلف المعنى في نفسه[2] .

وفي الشاهد السابق، وردت الجملة الاسمية منسوخة بالحرف المشبه بالفعل (إنّ)، الذي دخل على الخبر شبه الجملة (في عينيه)، المكون من حرف الجر (في) المبني على الفتح ولا محل له من الإعراب، ومن الاسم المجرور (عينيه) وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، فصارت شبه الجملة (في عينيه) في محل رفع خبر (إنّ) مقدم، وتأخر اسمها النكرة (نارا) المنصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وذلك لجذب الاهتمام للمتقدم والعناية به ، والتشويق للمتأخر .

د- النمط الرابع : (حرف ناسخ + خبر مقدم شبه جملة + المبتدأ معرفة أو نكرة مخصصة)

وقد ورد هذا في في مواضع عديد من قصائد الشاعر، كما في قصيدة: اللغز

يا فتى الغرب و يا نسل الكرام
إنّ في عينيك ألوان الضرام[3]
كيف أدعوك و لا تبدي كلام
هل نذرت الصوم عن ردّ الجواب
والخطاب...

[1]- ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ، ص246/1

[2]-ينظر: فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها و أفنانها، ص:207

[3]- محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:53

منع النحاة تقديم خبر الحروف الناسخة على أسمائها منعًا مطلقًا، كذلك منعوا توسطها بين اسمها وخبرها إلا إن الحرف غير (عسى) و (لا)، وذلك بشرط أن يكون الخبر شبه جملة سواء كان ظرفًا أو مجرورًا[1] ؛ وذلك لكثرة ما يحتاج إليهما في الكلام .

فالتقديم والتأخير اختبار حقيقي لشجاعة اللغة العربية وخروجها عن القواعد المألوفة والمتعارف عليه عند النحاة قديمًا وحديثًا ، والتي أخذوها عن العرب دون تحريف أو تغيير ، وهو الاختبار الذي تتفوق فيه اللغة العربية على غيرها، فتسمح بكل تقديم وتأخير بشرط ألا يغير المعنى ولا يسبب سوء الفهم للمعنى المراد.

والتقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته، ومن أهم مباحث علم المعاني – أحد فروع علم البلاغة – ، الذي يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات ، ويتأمل التراكيب، لكي يبرز ما يمكن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية[2].

وفي الشاهد السابق نلحظ التعبير بالجملة الاسمية المنسوخة، فدخلت (إنَّ) التأكيدية الناصبة على الخبر شبه الجملة المقدم جوازًا (في عينيك)، والمكون من حرف الجر المبني على الكسر (في)، ولا محل له من الإعراب، ومن عينيك اسم مجرور بعد (في)، فصارت شبه الجملة (في عينيك) في محل رفع خبر إن مقدم، وتأخر اسمها المنصوب (ألوان)، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وذلك للتخصيص والتوكيد المقدم .

2.4.المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

تنقسم الجملة في اللغة العربية إلى: جملة اسمية، وجملة فعلية، فأمّا الاسمية فركناها الأساسيان: المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية تتكون من: فعل وفاعل، وقد تتعدى إلى مفعول به، وقد تتعدى إلى مفعولين في بعض الحالات الفعلية تقدم الفعل على الفاعل [3].

[1]- ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك،332/1

[2]- ينظر: سامي عطا حسن، التقديم و التأخير في النظم القرآني الكريم و بلاغته، صحيفة دنيا الوطن،1-4-2013

[3]- ينظر: الأزهري، شرح التصريع،396/1

المفعول به هو ما وقع عليه فعل الفاعل فقام بنصبه، أو هو اسم منصوب يدل على من وقع عليه فعل الفاعل، وحكمه هو النصب دائمًا بأحد علامات النصب المعروف: كالفتحة الظاهرة أو المقدرة، أو بالياء ونحوه، والمفعول به في صور مثل:

أ- أن يأتي المفعول به اسمًا ظاهرًا ، مثل : أعرب الطالب الجملة .

أن يأتي المفعول به ضميرًا، سواء كان متصلاً أو منفصلاً، مثل: صافحتك .

ومع ذلك، فهناك خلاف بين البصريين والكوفيين في جواز تقديم الفعل على فاعله، حيث يذهب البصريون إلى وجوب تقديم الفاعل على فعله، وإذا تقدم الفاعل على الفعل يكون عندهم مبتدأ، بخلاف الكوفيين، فإنهم يجيزون تقديمه [1].

ويمتنع التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية ؛ وذلك لمنع تحوُّل الجملة الفعلية إلى جملة اسمية، إذا تقدم فاعلها على فعلها، وذلك عند البصريين، لذا سأتناول في هذا المبحث تقديم المفعول به على الفاعل، أو تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معًا، " وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطَّرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل "[2].

ومن أسباب تأخير المفعول به وجوبًا وتقديم الفاعل عليه خوف اللبس، والذي لا يمكن معه تمييز الفاعل من المفعول به، نحو : ضرب موسى عيسى، ونحو: أكرم أبي صديقي، أو أن يكون الفاعل ضميرًا متصلا: ويكون المفعول به حصر في أحدهما، نحو : عاونتك كما عاونتني ، أو أن يكون المفعول به محصورًا : وغالبًا تكون أداة الحصر إنما أو إلا المسبوقة بالنفي، نحو إنما يفيد الدواءُ المريضَ، أو ما أفاد الدواءُ إلا المريضَ، أو أن يكون مفعولاً به لفعل منصوب ب (لن): فلا يجوز تقدمُه على عامله فقط، بل يتقدم عليه وعلى (لن) معًا، نحو : ظالمًا لن أحاول.

أماأسباب تقديم المفعول به وجوبًا، وتأخير الفاعل عنه، فهي أن يكون له صدارة في الكلام: وذلك كأسماء الاستفهام، أو أسماء الشرط، نحو من قابلت؟ كذلك إن كان

[1]- ينظر: سيبويه، الكتاب، 31/1

[2]- ابن جني، الخصائص، 295/1

ضميرًا منفصلاً: ولو تأخر عن عامله لوجب اتصاله به، نحو أيها الناس: إياكم نخاطب، أو إن كان عامله مقرونًا بفاء الجزاء: وذلك في جواب أمّا الشرطية الظاهرة أو المقدّرة، ولا اسم يفصل بين العامل وبينه وذلك كقوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ)[1] وكقوله تعالى : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)[2] .

كذلك فمن أسباب تقديم المفعول به وجوبًا ، اشتمال الفاعل على ضمير يعود على المفعول به، وذلك نحو: قرأ الكتاب صاحبُه، أو أن يكون الفاعل محصورًا: وغالبًا تكون أداة الحصر إنما أو إلا المسبوقة بنفي نحو : لا ينفع المرءَ إلا العملُ الحميدُ أو نحو : إنما ينفع المرءَ العملُ الحميدُ ، وفي غير مواضع التقديم الواجب، والتأخير الواجب، يجوز الأمران[3] .

وتلخيص ما سبق أن تقديم أو تأخير المفعول به يأتي على ثلاثة أقسام :

1- مفعول يجب تقديمهُ ولا يجوز تأخيره وهو الاستفهام والشرط وضمير النصب بالفعل إذا ظهر الفاعل وكذلك المفعول المنفصل إذا لم يكن مفعولا .

2- مفعول يجب تأخيره ولا يجوز تقديمه وهو كل مفعول يكون فاعله استفهامًا أو شرطًا أو مقصورًا .

3- مفعول يجوز تقديمه ، وهو ما عدا ما ذكر .

وأجمل صاحب البرهان، الأسباب الداعية للتقديم والتأخير[4] بأن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه؛ كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر وصاحب الحال عليها، نحو: جاء زيد راكبًا، أو أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى لقوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بالْبَيِّنَاتِ

[1]-سورة الضحى، الآية: 8

[2]- سورة المدّثر، الآية:3

[3]- ينظر عباس حسن، النحو الوافي، 92/2

[4]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،233/3

مِنْ رَبّكُمْ وَإِنْ يَكَ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مسْرِفٌ كَذَّابٌ)[1] ، فلو أخر قوله: (من آل فرعون) فلا يفهم أنه منهم .

وأيضا فمن الأسباب الداعية للتقديم والتأخير، أن يكون التأخير مخلاً بالمقصودة كقوله تعالى (وَقَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِلِقَاءِ الْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُنْيَا مَا هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يأْكُلُ مِمَّا تأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)[2]، بتقديم الحال (مِنْ قَوْمَهُ)على الوصف (الَّذِينَ كَفَرُوا)،ولو تأخر لتوهم أنه من صفة الدنيا، وأن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة نحو كقوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلِ وَالنَهَارِ والشَّمْسُ والْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[3] ، (إِيَّاهُ) على (تَعْبُدُونَ) لمشاكلة رؤوس الآيات .

وأيضًا العظمة والاهتمام ، فمن عادة العرب الفصحاء أنهم يقدمون ما شأنه أهم وأولى ، كقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[4] ، فقدم العبادة للاهتمام بها، أو أن يكون الخاطر ملتفتًا إليه والهمة معقودة به ، فيكون التقديم لإرادة التبكيت والإنكار والتعجيب من حال المذكور ، نحو قوله تعالى :

(وَجَعَلوا اللهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)[5]، بتقديم الجار والمجرور (لله) على المفعول الأول؛ لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل، وأخيرًا الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل، وأخيرًا الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول، والخبر، والظرف، والجار، والمجرور، ونحوها على الفعل، كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[6] ، أي : نخصَّك بالعبادة فلا نعبد غيرك .

---

[1]- سورة غافر، الآية:28

[2]-سورة المؤمنون،الآية:33

[3]- سورة فصلت، الآية: 37

[4]- سورة الفاتحة، الآية:5

[5]- سورة الأنعام، الآية: 100

[6]-سورة الفاتحة، الآية:5

وباستقراء مواضع تقديم المفعول به على الفاعل جوازًا في الجملة الفعلية في قصيدة المدح عند الصنوبري، لا حظت ورودها في الأنماط الآتية :

1.2.4.-النمط الأول : (فعل + مفعول به + فاعل)

يرى النحاة أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية ، ذات الفعل المعتدي ، أن يرد الفعل أولاً يليه الفاعل ثم المفعول به[1] ، ويجيز النحاة تقدم المفعول به على الفاعل إذا أمن من اللبس، حيث يدل الإعراب على الفاعل والمفعول به نحو: ضربَ زيداً عليٌ، أما إذا لم يؤمن اللبس بخفاء الإعراب نحو: ضرب عيسى موسى، فإنه يتوجب بالإبقاء على الأصل في تقدم الفاعل على المفعول به .

ونلحظ مجيء الجملة الفعلية في قول الشاعر من قصيدة أشواق:

قد ينتهي عمري ...و تطويني سجلات العوادي[2]

وأظلّ في ديمومة الإغفاء يأكلني رقادي

قد يعتري عقلي الجنون فلا أرى غير المآسي

وقد تصدرها الفعل المضارع المرفوع بضمة ظاهرة (ينتهي)، متبوعا بالمفعول به (عمري) المنصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة، وقد تقدم الفاعل (الضمير المستتر)، وهذا التقدم قسم قائم برأسه، وكذلك تقدم الفاعل، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، الاستعمال مجيئا واسعا، ويكون تقدم المفعول به العديد من الأغراض الدلالية .

ويتجلّى ذلك في قصيدة إلى أشبال الجزائر:

سئمنا حياة الضنى و السقام

وأضجرنا العيش عيش الظلام[3]

فقمنا و قام النهى قائلا

إلى العلم سر طالبا و اغترب

فسرنا و جبنا بلاد العرب

[1] – ينظر :سيبويه، الكتاب،34/1

[2] – محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:194

[3] –السابق نفسه، ص:42

ولكن حصر تقديم المفعول به على الفاعل في إفادة العناية والاهتمام، يهمل كثيرا جوانب البلاغة الأخرى، إذ لا يقتصر هذا التقديم على هذا المعنى، بل قد يخرج التقديم فيه إلى معانٍ أخرى، يهدف إليها المتكلم، كالتعظيم، أو التحقير، أو الافتخار.

وقد يكون تقديم المفعول به على الفاعل، لمراعاة الموسيقى والسجع في القرآن الكريم،أو يفيد مراعاة القافية في الشعر، غير أنه قد يتقدم المفعول به رغبة من الشاعر في التجديد والخروج المألوف[1] .

والتقديم والتأخير باب طويل عريض ، يشتمل على أسرار دقيقة ، وهو ضربان :

الأول : يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أخّر المقدم أو قدّم المؤخّر لتغيّر المعنى .

والثاني : يختص بدرجة التقدم في الذكر ؛ لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخّر لما تغيّر المعنى.

فأما الضرب الأول فينقسم إلى قسمين : أحدهما : يكون التقديم فيه هو الأبلغ . والآخر : يكون التأخير فيه هو الأبلغ . فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ كتقديم المفعول على الفعل...،كقولك : زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإن قولك : زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره .

وفي قصائد محمد بلقاسم خمّار نلحظ الكثير من حالات التقديم في الجملة الفعلية، ومنها في قصيدة: إلى أشبال الجزائر

شباب تسامى و نحن الشباب
إلى ذروة المجد فوق السحاب
إلى البدر حيث الظلام انجلى
وعمّ السماء سناه الرحب[2]
هناك تسامى شباب العرب

[1]- ينظر: أمل منسي عائض الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، جامعة أم القرى،ص139

[2]- محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، ص:41

وفي الشاهد السابق يصف الشاعر خمّار طموح الشباب، وتم من خلال التعبير بالجملة الفعلية التي تقدم فيها المفعول به (السماء) على الفاعل (سناه)، والأصل: وعمّ سناه الرحب السماء، ونلاحظ أن العلامة الإعرابية ظاهرة في كل من الفاعل والمفعول به، وذلك يساعد على أمن اللبس عند تقديم المفعول به .

2.2.4.النمط الثاني : (مفعول به +فعل + فاعل)

ورد هذا النمط في مواضع عديدة من النصوص الشعرية، كمت نلحظ ذلك في قصيدة إلى شباب الجزائر:

بلى و أخبري كلّ عاة طغى
وأفسد في أرضنا و بغى
وقولي له: يا خبيث الولاء
النصر نفتقد.. و الفراق أشواق[1]
فذق علقما من شباب العرب

يرى النحاة أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية ، ذات الفعل المعتدي، أن يرد الفعل أولاً يليه الفاعل ثم المفعول به ، ويجيز النحاة تقدم المفعول به على الفاعل إذا أمن اللبس [2]، حيث يدل الإعراب على الفاعل والمفعول به نحو : ضرب زيد عليٌ، أما إذا لم يؤمن اللبس بخفاء الإعراب نحو : ضرب عيسى موسى، فإنه يتوجب الإبقاء على الأصل في تقدم الفاعل على المفعول به .

ويأتي التركيب في بعض الأحيان على خلاف الأصل ، فيتقدم المفعول به على الفعل والفاعل ، وقد أجاز النحويون تقدم المفعول به على الفعل والفاعل[3]،كما في قوله تعالى : ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالْرُّسُلْ وَآتَيْنَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ

[1]- السابق نفسه، ص:41
[2]- ينظر:عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106
[3]- ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك،133/1

بِرُوحِ القُدُسْ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسَكُمْ اسْتَكْبَرتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)

نلحظ في الشاهد السابق تقدم المفعول به (النصر) المنصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، على الجملة الفعلية (نفتقد) ، والمكونة من الفعل المضارع المرفوع وعلامة رفعه الظاهرة ، وورد فاعله ضميرًا مستترا تقديره (نحن)

وفي ذلك النمط يصف البلاغيون أهمية التقديم والتأخير فيه بقولهم: فإعلامك الشيء بلغته ليس مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام .

وفي الشاهد السابق يتوعد الشاعر المستعمر و أذنابه بالثورة و النصر، وتم ذلك الوعيد من خلال التعبير بالجملة الفعلية ، وفيها تقدم المفعول به (النصر) على الجملة الفعلية (نفتقد)، والأصل : نفتقد النصر، وهو تقديم يحدث حركة ذهنية في أذن المستمعين؛ فتجذب انتباهه للشاعر؛ وذلك لأهمية ما سيقول الشاعر، فهو يجذب الانتباه أولاً بتقديم المفعول، فلا مكان لهما إلا لديه، وفي ذلك أهمية للمتقدم، وتشويق وتخصيص للمتأخر .

الخاتمة:

نخلص في الأخير أنّ ظاهرة التقديم و التأخير في الجملة العربية، سواء كانت اسمية أو فعلية، دلالة على تنوّعها و ثرائها، و هذه الظاهرة تعدّ خصيصة في اللغة العربية دون سواها من اللغات، ممّا يضفي عليها قدرا من الجمالية، ويبرز قدرتها على في استيعاب ما قد يخالف قواعدها، وذلك بعد أن تصوغه اللغة في قوالب محكمة لا تخلّ بالفهم اللغوي الدقيق.

ففي الجملة الاسمية مثّل التقديم والتأخير جزءا كبيرا من شعر خمّار، وهذا كلّه يبرز مرونة اللغة الشعرية، حيث صنعت هذه الظاهرة مجالا خصبا لأشكال متعدّدة من الألوان البلاغية، و كذلك نفس الشيء في الجملة الفعلية حيث تنوّعت أساليب التقديم والتأخير، ممّا خلق جوا من الجمالية .

المصادر و المراجع:

- محمد بلقاسم خمّار، الأعمال الشعرية و النثرية، المجلد الأوّل، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر،2009
- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز"، دارا لمعرفة – بيروت،1981.
- السكاكي، "مفتاح العلوم"، ط ،1ضبطه وكتبهوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، .1983
- سيبويه، الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،1988.